

الدور والفن في الكسوع

الأدب والسياسة :

هذا عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور طه حسين بك في مساء يوم الإثنين بقاعة الليسيه فرنسيه ، وقد بدأ بالتساؤل عن معنى الأدب والسياسة ، فانتهي إلى أن الكلام لا يكون أدباً إلا إذا زيد فيه على تأدية المآلى المادية الإمتاع الفنى الذى يتحقق من الممى واللقظ وطريقة الأداء حين يريد الأديب أن يؤثر في النفوس ويشير فيها المواطن المختلفة ، كما انتهى إلى أن السياسة أعم مما يفهم منها حين يراد بها العلاقة بين الحكومة والشعب ، أو بين البرلمان والحكومة وحين يراد بها النزاع بين الأحزاب على الحكم ونظمه ، لأن السياسة تشمل شئون الشعب من حيث علاقات أفرادهم وجماعاته وطبقاته بعضها ببعض كما تشمل علاقة الشعب بالشعوب الأخرى في شتى نواحي الحياة ، أى أنها تشمل الحياة الاجتماعية كلها . وقال الدكتور : إن هذا هو الممى الذى أفهمه للسياسة حين أتحدث إليكم في العلاقة بين الأديب والسياسة .

وعلى هذا الوضع نستطيع أن نقين هل يمكن للأديب أن يعيش في عزلة عن المجتمع ؟ إن ذلك لا يمكن لأن الأدب ظاهرة اجتماعية والأديب أداة اجتماعية لا يستطيع أن يعيش بنفسه ولنفسه ، وساق حياة العزى مثلاً على العزلة الظاهرية التى تدل على عدم إمكان الانقطاع عن حياة الناس ؛ لأنه لم داره حقاً ، ولكنه أنشأ أدبه في شئون الناس ؛ ينتقد حياتهم ويسفه آراءهم ؛ فاعتزال الأديب غير ممكن ، وما مسألة البرج الماچى غير خداع وأوهام . وقال إنه عرف بعض الأدباء الذين يزعمون أنهم يمتصمون بالبرج الماچى من المصريين وغير المصريين فلم ير أحداً أشد منهم نهالكا على نشر آدابهم وحرصاً على رضا الناس عنهم وخوفاً من سخطهم على إنتاجهم .

فلندع إذن هذه المسألة الوهمية لننظر فيما يضطلع به الأديب ؛ فهو إما أن يكون مترفاً في أدبه يخلص من مشاغل الحياة إلى إمتاع العقل والقلب بغير رفيع ، وهذا في الحقيقة لا يتجنب

مسائل الحياة ، وإنما يمالجها على نحو لا يدرك إلا الخاصة ، أو يكون الترف بالتهلية والتسلية كالذى يقصر الوقت بين الاستلقاء على الفراش والاستغراق في النوم . أو يعمد الأديب إلى جد الحياة فيشارك في التوجيه والتثقيف ويصور الآلام والآمال .

والأديب على كل حال من هذه الأحوال فرد في المجتمع يعمل كما يعمل أفراداه ويتحمل نصيباً من التبعات قل أو كثر ، حتى أديب التسلية فإنه يعيش على التخفف من هذه التبعات في بعض أوقات الفراغ .

وبعد أن استعرض الدكتور بعض المصور الماضية مبيناً أثر السياسة في الأدب وانشغاله بها ، خلص إلى الوقت الحاضر فقال : إن أدباءنا جميعاً — وأنا منهم — غارقون في السياسة إلى الأذقان ؛ فهم جميعاً يتحدثون في كتبهم وفي الفصول التى تنشرها لهم الصحف والمجلات ، عن شئون الحياة ومشاكل العصر ، ولو لم يفعلوا ذلك لكانوا طفيليين في الحياة . وغاية ما فى الأمر أننا نستطيع أن نحدد ما ينفذ وما لا ينفذ ومن الثانى الاشتغال بمصومات الأشخاص وأغراضهم ومطامعهم ، وفى غير ذلك لا يعمل بالأديب أن يتجنب السياسة . ويحدث أن يلغى بعض الناس أو يلقوا غيرى من الأدباء فيقولوا : لو تركت السياسة وخلصت للأدب ! وهؤلاء لا يفهمون السياسة ولا الأدب .

نقيب :

رأيت أن الدكتور طه وسع معنى السياسة حتى جعلها تشمل كل شئون الحياة ، وليس هذا هو مدلولها الذى جرى الناس عليه وقد انساق في هذا التوسيع — كما ينحى إلى — ليدخل السياسة في اختصاص الأديب . ولكن هل هذا الغرض في حاجة إلى التوصل إليه بذلك الزج ؟ إن الأديب يتناول كل شئ في الحياة بطريقته الفنية ، فيكتب الأدب السياسى والأدب الاجتماعى وغيرهما ، وليس معنى هذا أن كل شئون الحياة اسمها سياسة ، وإلا فهل تمد القصة التى يكتبها الأديب مثلاً ويدير فكرتها وحوادثها على زوجين لم يسمدا لاختلافهما في العمر اختلافاً كبيراً هل يمد مثل هذا سياسة ؟

أما هل يكتب الأديب في السياسة أو لا يكتب فيها ، فهذه مسألة أخرى ، وإن كان مما لا شك فيه أنه حين يكتب في

وألقى الأستاذ عباس محمود العقاد بحثاً في « موقف الأدب العربي من الآداب الأجنبية في القديم والحديث ». فأوضح معالم الموضوع وبينه بياناً حسناً على اضطاراره إلى الإنجاز فيه . قال إن الأدب العربي تأثر بمخالطة الأمم الأجنبية قديماً كما تأثر بها حديثاً ، غير أن تأثره بها في القديم كان على أكثره — من ناحية الحضارة بلايسة الأمم في أصول المعيشة وعادات المجتمع ، وأن تأثره بها حديثاً كان — على أكثره — من ناحية الثقافة بالاطلاع على آداب الأمم في لغاتها والتوفر على دراستها .

قال الأستاذ في بيان التأثير القديم : كان اعتزاز العرب بأنهم صادراً لهم عن تعلم اللغات الأجنبية منذ أيام الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أضاف الاعتزاز بالعقيدة إلى الاعتزاز باللسان ، لكنهم خالطوا الأمم في حضارتها وإث لم يتكلموا بألسنتها فأثر ذلك في أدبهم وظهر أثره في أوزان القصيدة ومعمانيه ، وفي الإسلام زاد الاتصال فدخل في أغراض الشعر كثير من مظاهر الحضارات التي تجمعت في بلاد الدولة الإسلامية كوصف المهرجانات والمواسم . ثم قال في بيان التأثير الحديث : إن موقف الأدب العربي من الأمم الأجنبية في العصر الحديث هو — على الأغلب — موقفه من الأمم الأوروبية ، وصبغة الثقافة فيه أظهر من الحضارة على وجه التعميم ، ولقد كانت اللغتان الفرنسية والإنجليزية أقرب مسالك الثقافة الأوربية إلى البلاد العربية . واتفق أن كان هذا الاتصال في عهد النهضة العلمية أو عهد التحقيق والنمحيص ، فقرأ أدياء العرب كتب القوم وهي تضيف مزايا التعبير العلمي إلى مزايا التعبير الأدبي في أقلام البلقاء ، فكان من أثر ذلك دقة الأداء وتخصيص اللفظ بمعناه ، وكان من أثره اتساع أفق الكتابة والشعر ، وبخاصة ما كتب أو نظم في تمثيل الجوانب النفسية وتحليل دواعي الحس والمأطفة

وألقى الشيخ عبد القادر المغربي كلمة عن « مجامعنا اللغوية وأوضاعها » تحدث فيها عن المحاولات الأولى في إنشاء هذه المجامع ، فالجمع الأول أنشئ سنة ١٨٩٢ برئاسة السيد توفيق البكري ، والجمع الثاني أنشئ سنة ١٩١٧ برئاسة الشيخ سليم البشري وكان الأستاذ لطفى السيد (باشا) مقرر له ، وقد أنتج هذان الجمعان نتاجاً لم يكده يولد حتى مات ؛ لأسباب منها ما يرجع إلى طبيعة الألفاظ التي وضعت ، ومنها ما يرجع إلى التنافس عن

السياسة فيمتع ويُسهر بحبال الفن ، لا يبعد عن الأدب ، ولكن أدبه سيامي يختلف عن ألوان أخرى من الآداب .

مؤتمر الجمع اللغوي :

احتفل بجمع فؤاد الأول للغة العربية يوم الإثنين بافتتاح مؤتمره السنوي أي الجلسات التي تنعقد بحضور الأعضاء الأجانب شرقيين وغربيين ، وقد جرى الجمع على أن يحتفل في أولى هذه الجلسات بافتتاح هذا المؤتمر .

افتتح الحفل معالي رئيس الجمع أحمد لطفى السيد باشا ، ثم ألقى معالي وزير المعارف عبد الرزاق السنهوري باشا كلمة لا أحسبني مغالياً إن قلت إنها ثورة لغوية .. فقد أشار إلى ما ذكره في خطاب العام الماضي من أن هناك علامتين لسلامة اللغة ، هما اقتراب لغة الخاصة من لغة العامة ، وابتعاد لغة الحاضر عن لغة الماضي . ثم قال إن لغتنا العربية في الوقت الحاضر قد تطورت تطوراً كبيراً ، لأنها اليوم أقرب إلى لغة العامة وأبعد عن لغة الماضي إلى حد كبير ، فهي إذن لغة سليمة ، وايست اللغة السليمة هي التي نقرأها في كتب القرون الماضية ، فهذه صورة تاريخية من صور تطور اللغة العربية ؛ والذين يقولون إن اللغة العربية قد دخل عليها الفساد وركبتها البدع يعتقدون أن اللغة العربية ليست إلا هذه الألفاظ والمبارات التي جرت بها الألسن في القرون الأولى ودونها الكتب والمعاجم في العصور السالفة . ولكننا نذهب إلى غير رأيهم ، فلا تملك الأموات من هذه اللغة أكثر مما تملك الأحياء .

ووصلت الثورة إلى مداها عند ما قال معاليه : هاأنذا أستعمل لفظ « التطور » وهو أفظ عربي لا إخال أنه يستند إلى نص أو قياس ، ولكنه لفظ أجمع عليه كتاب العربية في عصرنا الحاضر ، فهل يجوز لأحد اليوم أن يخطئ في استعماله ؟ وقد أكون استعملت في كلتي هذه أو في غيرها ألفاظاً قد تكون منضبطة على القاموس أو غير منضبطة ، وقد تكون واردة في المعاجم الأولى أو غير واردة ، فسواء كان هذا أو ذاك فإنها ألفاظ عربية سليمة متى انمقد عليها إجماعنا في العصر الحاضر .

ونوه معاليه بأهمية الإجماع في اللغة وتطورها وحياتها ، ثم نبه على أنه لا يقصد به القوضى التي تأتي من استعمال ألفاظ بعيدة عن أصول اللغة وقواعدها .

أشعر الشعراء :

كانت مجلة الهلال قد نشرت في أكتوبر الماضي استفتاء لقراءها عن الشعراء الخمسة الأول بين العرب الأحياء ، وعنهم هو أجدرهم بلقب الإمارة الآن . وكانت قد عقيت على ذلك ببيان عدم الحاجة إلى هذه الإمارة ، وتفنيد طريقة استفتاء قراء أكثرهم ليس أهلاً لمثل هذه الأحكام الأدبية .

وقد أحسنت الهلال إذ أعلنت في هذا الشهر نتيجة الاستفتاء خالية من « أمير الشعراء » قاصرة على « الشعراء الخمسة الأول » واصطنعت اللباقة في « دعم » مسألة الإمارة ، إذ ذكرت أن المشتركين في الاستفتاء « قالوا إن آثار كبار شعرائنا تكاد تكون في مستوى واحد من القوة والإبداع ، ويكاد لا يوجد وجه لتقديم بعضهم على البعض الآخر » وهكذا خلست إلى ما عرف عن دار الهلال من الاتزان وإرضاء الجميع . ثم أعلنت « أن الشعراء الخمسة الأول بين شعراء الأقطار العربية هم بالترتيب الذين حازوا أكثر الأصوات : خليل مطران بك . علي الجارم بك . السيد بشارة الخوري . الأستاذ علي محمود طه . الأستاذ أحمد رامى »

وقد جاءت هذه النتيجة -- كما ترى -- وفقاً لما ينتظر من قراء يتوخون أكثر الأسماء شهرة في المحيط العام دون التفات أو دراية بما تستحق من تقديم أو تأخير ... وأنت تعلم -- كما أعلم -- أن نعمة شعراء برججون بعض هؤلاء في الموازين الأدبية . وقد نشرت المجلة تعقيماً على هذا الاستفتاء للدكتور عبد الوهاب عزام بك قال فيه : إن النقاد لا يستطيعون أن يوازن بين جماعة من الشعراء « إلا أن يقرأ ديوان كل واحد منها قراءة ناقدة مثبتة ، ويكون قد عنى بها وقرأها واستقر على رأى فيها على مر الزمان ... وليت شعري من فعل هذا من النقاد ؟ » أقول : إذا كان هذا مستبعداً على النقاد فلا بالك بالقرءاء ... ؟ .

ملك الشعراء :

وبما قاله الدكتور عزام بك في ذلك التعقيب : « وإذا نظرنا في تاريخ الآداب الشرقية ، وجدنا ألقاب الإمارة والملك معروفة بين شعراء إيران مثل ملك الشعراء معزى . وقد تلقب بلقب ملك آخرون من شعراء الفرس من بعده . وفي عصرنا هذا يعرف الشاعر الكبير بهار بلقب ملك الشعراء ، وهو أستاذ في جامعة

الطرق المؤدية إلى استهلال تلك الألفاظ واستهالة أنظار الجمهور إليها . وعد الأستاذ الغربي من تلك المحاولات ما كان منه ومن المنفور له أحمد تيمور باشا إذا اتفقا على العمل على استهلال ألفاظ فصيحة بدلاً من العامية والدخيلة ، وانتقى تيمور باشا عشرين كلمة من الفصحى ونشرها في المؤيد سنة ١٩٠٨ ونصح الجمهور باستهلالها ، ثم كتب الشيخ المغربي تطبيقاً عليها مقالا في المؤيد بعنوان « تمرين على الكلمات العشرين » .

ثم تحدث الأستاذ عن الجمع العربي بدمشق وجمع فؤاد الأول بمصر وأثرهما في اللغة وما يرجى منهما .

وألقى الأستاذ محمد كرد علي بحثاً في « عجائب اللهجات » بين فيه أثر اختلاط العرب بغيرهم وخاصة بعد الإسلام في تعدد اللهجات ، واستمر في بحثه حتى وصل إلى العصر الحاضر فساق أمثلة كثيرة لاختلاف اللهجات في الأمم العربية .

ووقف الأستاذ جيب المستشرق الإنجليزي فاعتذر من عدم حضوره مؤتمر الجمع في السنتين الساضيتين لانشغاله مع زملائه أساتذة الثقافة الشرقية في الجامعات الإنجليزية بتنظيم الدراسات الشرقية وقال إنهم ألغوا جمعية خاصة بهم في السنة الماضية .

أعمال الجمع :

وقد ألقى الدكتور منصور فهمى باشا كتاب سر الجمع كلمة في « أعمال الجمع خلال الدورة الماضية » وأرشد الأذان لتلقى أنباء هذه الأعمال فإذا هي تلخص في إلقاء بحوث في الجلسات من بعض الأعضاء ، وفي النظر في بعض المصطلحات العلمية وتقرير تعريفها ، والنظر في منهاج العمل بالمعجم الوسيط والمعجم الكبير ، وفي مواصلة اللجان أعمالها ، ولجنة الأدب أنجزت مسابقة الإنتاج الأدبي في العام الماضي وتعمل في مسابقة العام الحالي ، ولجنة الأصول أمامها مقترحات في تيسير الكتابة العربية لا تزال تبحثها .

وكل تلك الأعمال عدا المسابقة الأدبية لم تظهر لأعين الناس بعد ، ولم يزل الجمع يتحدث عنها منذ سنتين كما يتحدث عنها الآن حتى المجلة التي قالوا منذ أكثر من عام إنها على وشك الظهور لا تزال على الخفاء . وقد فأننى أن أذكر من أعمال الجمع أنه قرر نشر المجلة مرتين في السنة